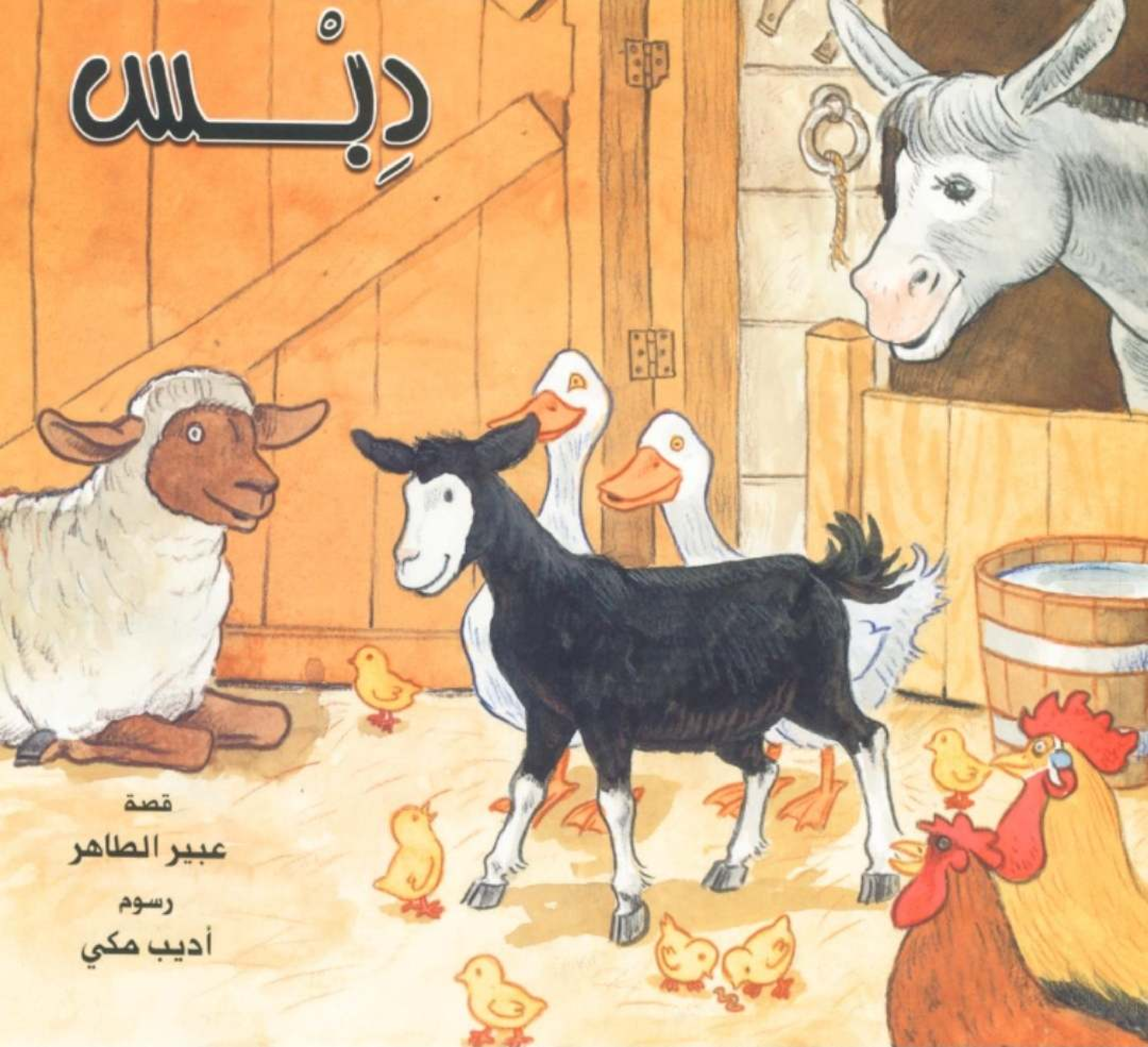
دِبْس



قصة

عبير الطاهر

رسوم

أديب مكي

في مزرعةِ السّيّدِ أحمدَ عنزةٌ صغيرةٌ اسْمُها دِبْسْ، كانتْ هِذه العنزةُ غَريبةَ الأَطوارَ ومختلفةً عن غيرِها منَ الحيواناتِ







إذا طلبتْ مِنها أمُّها أن تُحْضِرَ بعْضَ القَشِّ منَ الِحقل، كانت دِبْس تُغيبُ طويلاً وتعودُ وهي مَحملةً بالأزهارِ.

وإذا ذهبتْ لترعى معَ بقيّةِ القطيعِ كانتْ دبسُ تَبتعدُ عنهُ وتِحاوِلُ معرفةَ ما يدورُ خلفَ أسوارِ المزرَعة.

وكان لا يحْلو لدبسَ أكلُ الأَوراقِ إلّا مَنَ الأشجارِ وهذا طبعاً ممنوعٌ في قوانينِ المزرعَة. كان جميعُ الحيواناتِ يسخرونَ منها ويَتَهامسونَ فيما بينهم بأنّ هذه العنزةَ الغريبةَ ستجلبُ لهم الكثيرَ من المشاكلِ وسوءِ الحظّ.



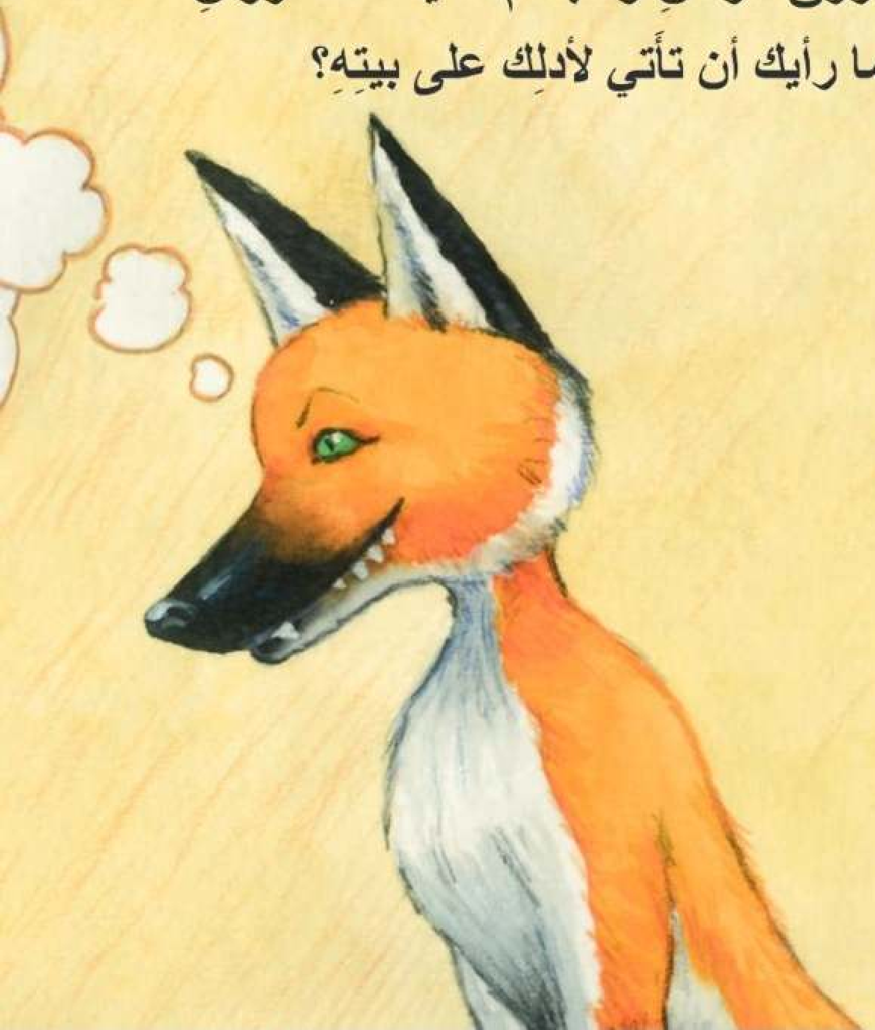
ذاتَ يومٍ اختفتْ دِبْسُ، هَرَبَتْ.. لقدْ ملّتْ حياةَ المزرعة الرتيبةِ.. فهي تُريدُ أنْ ترى أشياءَ لمْ ترَها منْ قبل.

مشتْ دبسُ ومشتْ، ومشتْ.. تْعبت، جلستْ تحتَ شجرةٍ على جانبِ الطريق: وبينَما هي جالسةٌ أقْبَلَ حيوانٌ طالما حذّرتْها منْهُ أمُّها.





حينَ اقتربَ الثّعلبُ منها قالَ: "احمْ احمْ، عفْوَكِ سيّدتي العنزة تبدينَ متعبةً وضائعةً، إلى أيْنَ أنتِ ذاهبة؟" تَنَحْنَحَتِ العنْزَةُ وقالت: "إنّني ذاهبة لأرى البحرَ"، قالَ الثعلبُ: "آه البحر؟ شيءٌ جميلٌ ، تريدينَ رؤيةَ البحرِ إذاً"، فتحت العنزةُ عينيها وقالتْ: "وهل رايتَهُ أنتَ؟"، ابتسمَ الثّعلبُ وقالَ: "طبْعاً.. طبْعاً، فَهو ضخمٌ جداً له ذنبٌ أصفرٌ طويلٌ، أزرقُ الرأسِ والجسم، عيناهُ خضروانِ وأسنانُه صفراءُ حادّةٌ، هو رائعٌ جدّاً، ما رأيك أن تأَتي لأدلك على بيتِهِ؟





أحَسّتِ العنزةُ أنَّ الثعْلبَ يخدعُها، وتذكّرَتْ كلامَ أمّها عن الثعْلبِ وَمّكْرِهِ فقالت له:"شكراً هذا لطفٌ منكَ سيّدي ثعْلبَ، لكنني أنتظرُ صديقي الكلبَ، فقد ذهب ليُحْضرَ بعْضَ الماءِ منَ النّهرِ، وسيعودُ في أيّةِ لحظةٍ"، ارتجفَ الثعْلبُ لسماع كلمة كلْب، وقال : " آه عفواً سيّدتي، لقدْ تذكّرتُ أنّني نسيتُ الطّعَامَ على النّارِ، اعْذريني، فيجبُ أنْ أذْهبَ في الحالِ، تحيّاتي لك ولصديقك"وهكذا ركضَ الثعْلبُ بأسرع ما يمكنُهُ، واختفى عنِ الأنْظارِ.





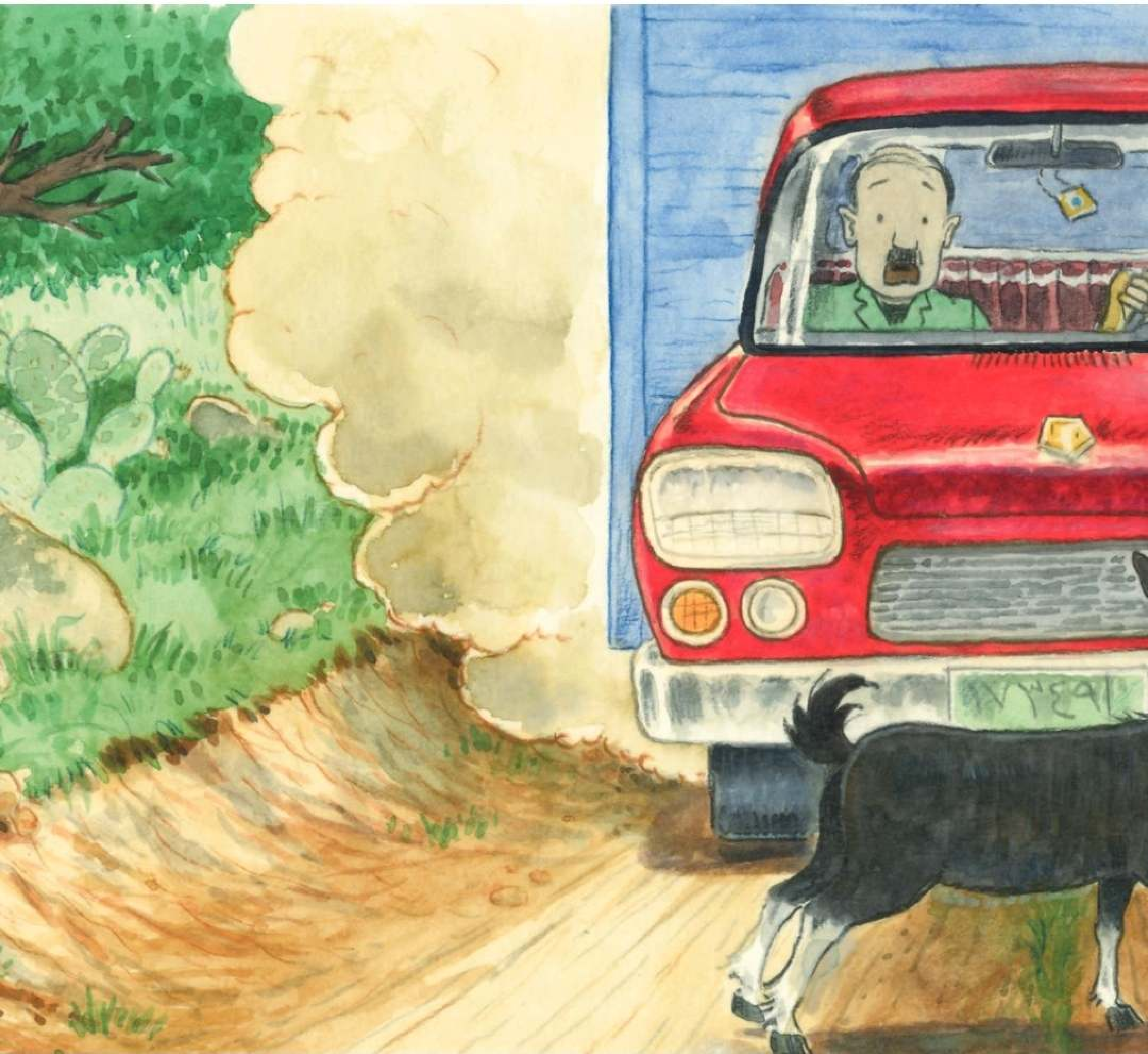


شعرتِ العنزةُ دبسُ بالوحشةِ والخوفِ، وأخذتْ تفكّرُ بالأهلِ والمزرعة.

قالتْ في نفْسَها، ربّما البحرُ إشاعةً تتناقلُها حيواناتُ المزْرعةِ، ربّما البحرُ حلمٌ كبيرٌ. وبينما أخذتْ الدبسُ تهمُّ بقطعِ الَشارع لتعودَ الى المزرعةِ، رأتْ شاحنةً كبيرةً قادمَةً نحْوَها بسرعةٍ جنونيةٍ، داسَ السّائقُ على الكوابحِ، وفي آخرِ لحظةٍ تِوقّفت الشّاحنةُ ونزلَ منها رجلانِ.

قالَ واحدٌ منهما:" يا لَلْعنزةِ الغبيّة كادتْ أنْ تقتلَنا جميعاً! "

فجأةً حملَ الرجلانِ العنزةَ وألْقَياها في مؤخّرِة الشاحنة.





كم كانتْ مفاجأةً مُفْرِحةً لدبْس حينَ رأتْ حوْلها قطعياً منَ الخرافِ والْماعزِ!

"ماء ماء"، قالَ الخروفُ الكبيرُ الواقفَ قربها: "مرحباً، هلْ أنتِّ ذاهبةٌ معَنا؟ "نعمْ" قالتْ دبسُ "ولكن إلى أينَ أَنتمْ ذاهبون؟"

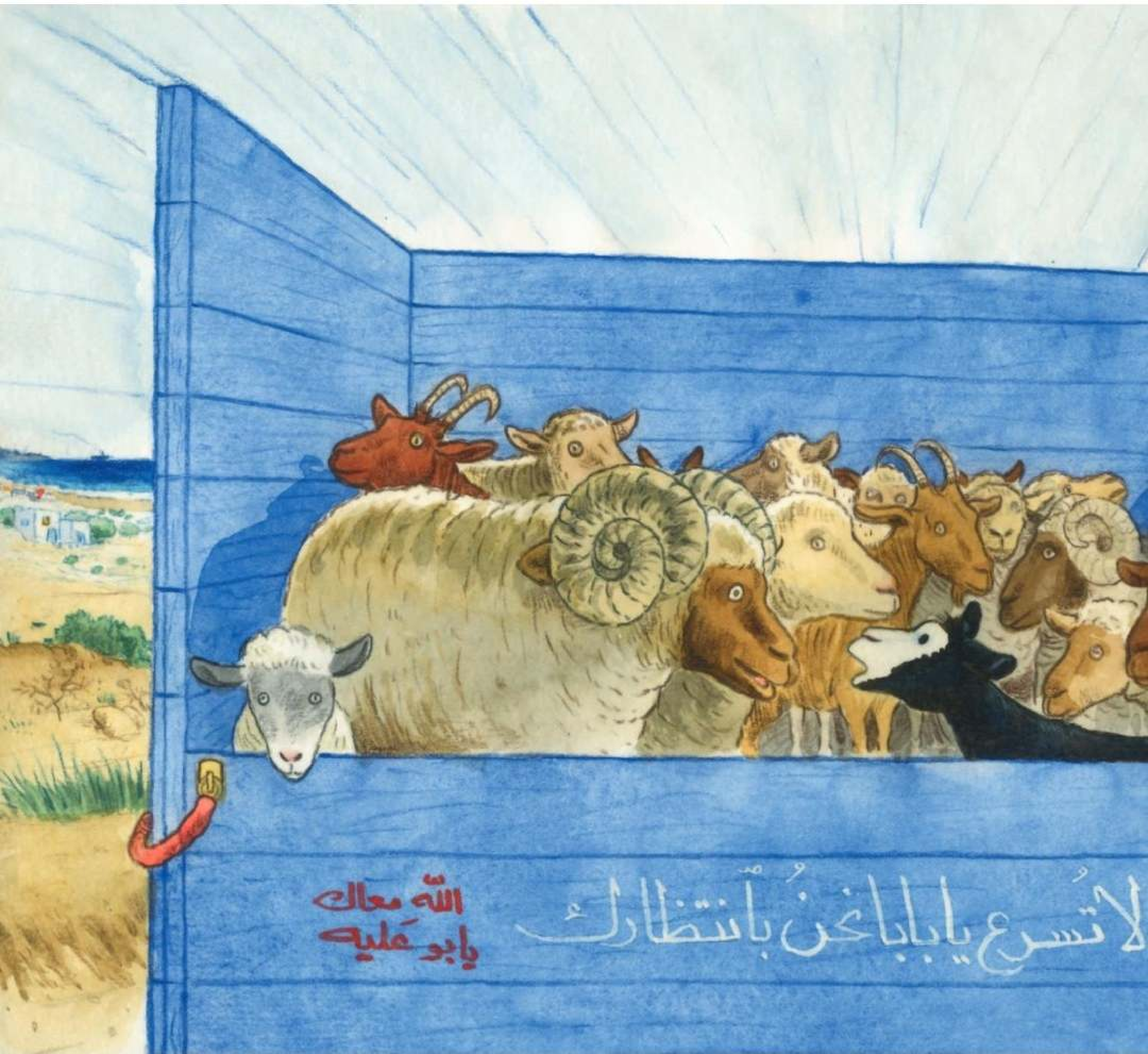
ضحكَ الخروفُ بصوتٍ عالٍ وقال: "إلى البحرِ طبعاً."

فتحتْ دبسُ عيْنَ في دهشةٍ وقالتْ:"ماذا؟ بحر؟ هلْ قلتَ بحر؟"

"نعمْ" قالَ الخروفِ الكبيرُ،"نحنُ سنركبُ الْباخرةَ وسنُشْحنُ إلى بلادٍ بعيدةٍ."

ارتجفتْ دبسُ خوفاً وقالتْ:"إنّني كنْتُ أُريدُ رُؤيَةَ البحر فقط، أنا لا أريدُ الذّهاب إلى بلادٍ بعيدةٍ.. أريدُ البقاءَهنا معَ أخواتي وأمّي و ... و"وأجهشتْ بالبكاءِ.

رقّ قلبُ الخروفِ الكبيرِ لحالِها وقالَ: " كفى، كفى ، لا تبكي سأتدبّرُ أَمرَ هروبكِ، حينَ نصلُ الميناءَ "


لاتُسرع يابابا نحنُ بانتظارك
الله معاك
يابو عَليه



ما أن وصلت الشّاحنةُ إلى الميناءِ حتَّى
خبطَ الخروفُ رجلَ دبس وهمسَ:
"هيّا استيقظي، أسرعي حانَ وقتُ هروبك."
فُتِحَ بابُ الشّاحنة وقفزت الخرافُ
والماعزُ جميعُها دفعةً واحدةً وأدّى هذا
إلى حصولِ هرجٍ ومرجٍ في الميناء...ثم
قامَ الخروفُ الكبيرُ بأصطناعِ مشاجرةٍ
معَ بعضِ الخرافِ، ممّا أتاحَ لدبَسَ التسلّل
خارِجَ الميناءِ،







لكنْ لسوءِ حظِّها شاهدَها أحَدُ عُمّالِ الميناءِ وأخذَ يصيحُ"امْسكوا : " امْسكوا العنْزةَ السّوداءَ"ركضتْ دبسُ بكلِّ قوّتها، ورِجالُ الميناءِ يلحقونَ بها ... وهي تركضُ، وهمْ يركضون خلْفَها.



في هِذه اللّحظةِ كانَ على الشّاطِيء ولَدٌ يلْعَبُ على الرّملِ، شاهَ الولدُ العنزةَ السّوداءَ ترْكُضُ خائفةً، ومن خلْفِها رجالٌ يطاردونها،"بس، بس ..." قالَ الولدُ تعالي هنا، تعالي لكي أساعدَكِ، نامي هنا على الرّملِ بسرعةٍ، ولا تتحرّكي ، نامتْ دبسُ و غطّاها الولدُ بمنشفته الكبيرةِ ذُهش رجالُ الميناء، فالعنزةُ اختفتْ ولمْ يعدْ لها أثرٌ،هل انشقتِ الأرضُ وابتلعتها؟ عادَ الرّجالُ إلى الميناءِ، وهمْ في حيرةٍ من أمرهِم.



على شاطئ البحرِ، أمْضتْ دبسُ وقتاً جميلاً ، وقبلَ مغيب الشمسِ، ودّعتْ دبسُ الولدَ، وشكرتْهُ على إنْقاذِهِ لها وقالت"سأذكَرك دائماً أنْتَ والبحر.





"وهكذا عادتْ دبسُ إلى مزرعةِ السّيّدِ أحمدَ وأصْبحتْ نجمةُ المزرعةِ، ففي كلِّ ليْلةٍ تأخذُ دبسُ في الحديثِ عن البحرِ وعنِ المغامراتِ التي حدثتْ والتي لم تحدثْ معها، وفي نهايةِ السّهرِ يُصفّقُ الجميعُ لدبسٍ، ويتهامسونَ فيما بينهم، ويقولون .." كمْ نحنُ محْظوظونَ بوجودِ دبسٍ معنا ! "

